

هل التقى التركي "الباقشي" المتصاعد يأتي ردًا على الغزل السعودي لسوريا؟

ولـمـاذا تـزاـيدـتـكـهـنـاتـحـولـرـغـبـةـأـرـدـوـغـانـإـقـامـةـ"ـطـوقـسـنـيـ"ـلـحـصارـالـسـعـودـيـةـ وـمـحـورـهـفـيـفـنـائـهـالـشـرـقـيـ؟ـوهـلـمـوـافـقـةـعـمـرـانـخـانـعـلـىـوـضـعـفـتحـاـمـلـهـعـلـىـقـائـمـةـالـإـرـهـابـوـإـغـلـاقـمـدارـسـهـقـيـبـاـكـسـتـانـالـخـطـوـةـالـأـوـلـىـ؟ـ

عبد الباري عطوان

بيـنـما تـذـشـغـلـالـمـملـكـةـالـعـرـبـيـةـالـسـعـودـيـةـبـمـحاـكـمـةـالـمـؤـتـهـمـينـفـيـجـرـيمـةـاـغـتـيـالـالـصـحـافـيـ جـمالـخـاشـقـجيـ،ـوـتـعـذـرـتـرـتـبـيـقـاـتـفـاقـالـحـدـيـدـةـفـيـالـيـمـنـ،ـاـسـتـقـبـلـ"ـغـرـيمـهـاـ"ـاـلـأـبـرـارـرـجـبـطـيـبـ أـرـدـوـغـانـ،ـزـعـيمـيـ"ـدـوـلـتـيـنـإـسـلـامـيـتـيـنـ،ـعـلـىـدـرـجـةـكـبـيرـةـمـنـاـهـمـيـةـ،ـاـلـأـوـلـهـوـالـسـيـدـعـمـرـانـخـانـ،ـ رـئـيـسـوـزـرـاءـبـاـكـسـتـانـ،ـالـدـوـلـةـالـنـوـوـيـةـالـوـحـيـدـةـفـيـالـعـالـمـالـإـسـلـامـيـ"ـ،ـوـالـثـانـيـالـسـيـدـبـرـهـمـصـالـحـ،ـ رـئـيـسـالـعـرـاقـ،ـالـذـيـيـتـعـافـىـبـسـرـعـةـوـيـحـاوـلـاستـعـادـةـدـوـرـهـالـعـرـبـيـ"ـوـالـإـقـلـيمـيـ".ـ

الـرـئـيـسـأـرـدـوـغـانـالـذـيـبـاتـيـدـرـكـجـيـدـاـأـنـ"ـالـأـزـمـةـالـسـوـرـيـةـتـقـتـرـبـمـنـنـهاـيـهـاـ،ـوـأـنـ"ـ التـحـالـفـالـسـعـودـيـ"ـالـإـمـارـاتـيـ"ـالـمـصـريـيـرـيدـأـنـ"ـيـسـتـعـيدـعـلـاقـاتـهـمـعـالـرـئـيـسـبـشارـالـأـسـدـعـبـرـبـوـاـبـةـ الإـعـمـارـ،ـلـمـحـامـرـةـبـلـادـهـ،ـاـسـتـبـقـاـلـمـرـأـتـهـيـخـطـطـلـمـحـاصـرـةـهـذـاـالـحـلـفـالـثـلـاثـيـ"ـبـالـتـسـلـلـإـلـىـ فـنـائـهـالـشـرـقـيـ"ـ،ـوـتـرـسـخـجـوـدـهـفـيـأـفـغـانـسـتـانـوـبـاـكـسـتـانـ،ـوـهـذـاـمـاـيـفـسـرـرـاستـقـبـالـهـالـحـارـلـضـيـفـيـهـفـيـ أـنـقـرـةـ،ـوـالـسـيـدـخـانـعـلـىـوـجـهـالـخـصـوصـ،ـوـتـوـثـيقـالـعـلـاقـاتـالـتـجـارـيـةـبـيـنـالـبـلـدـيـنـ(ـتـرـكـيـاـوـبـاـكـسـتـانـ)،ـ فـيـمـجـالـالـصـادـرـاتـالـعـسـكـرـيـةـخـاصـمـةـ"ـ،ـوـالـإـعـلـانـعـنـقـمـةـ"ـثـلـاثـيـةـ"ـتـرـكـيـةـبـاـكـسـتـانـيـةـأـفـغـانـيـةـفـيـ الرـبـيعـالـمـقـبـلـفـيـإـسـطـنـبـولـ.

أـمـّـاـعـلـىـصـاعـدـالـعـلـاقـاتـمـعـالـعـرـاقـ،ـفـكـانـلـافـتـتـاـأـيـضـاـ،ـوـمـنـخـلـالـبـيـانـالـمـشـترـكـ،ـأـنـ"ـ الرـئـيـسـيـنـ،ـأـرـدـوـغـانـوـصـالـحـ،ـاـتـفـقاـعـلـىـوـضـعـاـسـتـرـاتـيـجـيـةـمـشـتـرـكةـبـيـنـالـبـلـدـيـنـلـمـكـافـحةـالـإـرـهـابـ،ـ الـأـمـرـالـذـيـيـعـنـيـأـنـ"ـالـعـرـاقـيـوـفـقـيـبـشـكـلـمـباـشـرـ"ـعـلـىـتـجـدـيدـالـاـتـفـاقـالـذـيـجـرـىـتـوـقـيـعـهـبـيـنـ أـنـقـرـةـوـبـغـدـادـفـيـزـمـنـالـرـئـيـسـالـعـرـاقـيـ"ـالـراـحـلـصـدـامـحـسـنـ،ـوـيـقـضـيـبـالـسـمـاحـلـلـطـائـرـاتـالـتـرـكـيـةـ

بـمـطـارـدة خـلـيا حـزـب العـمـال الـكـرـدـسـتـانـي والمـنـظـمـات الـكـرـدـيـة الـمـوـالـيـة لـه دـاـخـل الـأـرـاضـى الـعـرـاقـيـة، أي "إـقـليم كـرـدـسـتـان الـعـرـاقـ".

مـحـمـود قـرـيشـي، وزـيـر خـارـجـيـة باـكـسـتـانـ، الـذـي رـافـق عـمـرـان خـان أـثـنـاء زـيـارـتـه لـتـرـكـيـا، أـكـدـ أـنـ "بـلـادـه وـتـرـكـيـا تـقـفـان فـي خـنـدقـ واحدـ فـيـمـا يـتـعـلـق بـجـمـيع الـقـصـاـيـا الـاستـراـتيـجـيـة، وـسـيـحـرـصـان عـلـى زـيـادـة التـنـسـيق وـالتـعاـون بـيـنـهـما فـي الـمـجاـلات كـافـيـة، وـخـاصـةً التـبـادـل التجـارـيـ" حيثُ تـنـطـلـقـ بـاـكـسـتـان إـلـى الـاسـتـثـمـارـات وـالـخـبـرـات الـتـرـكـيـة فـي مـجاـلات الـبـدـأـيـ التـحـتـيـة وـالـصـنـاعـات الـعـسـكـرـيـة (وـقـعـتـ بـاـكـسـتـانـ صـفـقـة طـائـرـات مـرـوحـيـة معـ تـرـكـيـا بمـقـدـار مـلـيـار دـولـارـ).

ما يـعـزـزـ كـلامـ السـيـد قـرـيشـيـ، إـصـارـ المـحـكـمـة الـبـاـكـسـتـانـيـة الـعـلـيـا قـرـارـا باـعـتـبارـ حـرـكـة "الـخـدـمـةـ" الـتـي يـتـزـعـمـها الدـاعـيـة الـتـرـكـيـة فـتحـ اـنـ غـولـ "حـرـكـة إـرـهـابـيـةـ"، وـحـظـرـ جـمـيع أـنـشـطـتهاـ فـيـ بـاـكـسـتـانـ وـتـسـلـيمـ مـدـارـسـهاـ إـلـىـ الـحـكـومـةـ الـتـرـكـيـةـ.

حـرـبـ التـنـافـسـ علىـ بـاـكـسـتـانـ بـيـنـ تـرـكـيـا وـالـسـعـوـدـيـةـ تـبـلـغـ ذـرـوـتـهـ هـذـهـ الـأـيـامـ، وـمـنـ الـواـضـحـ أـنـ الرـئـيـسـ أـرـدوـغـانـ الـذـيـ يـحـطـيـ بـدـعـمـ قـطـريـ وـإـرـانـيـ وـعـرـاقـيـ بـاـنـ مـُـتـقـدـمـاـ بـمـرـاحـلـ فـيـهاـ، وـيـرـيدـ تـطـوـيقـ الـمـحـورـ السـعـوـدـيـ الـمـصـرـيـ الـإـمـارـاتـيـ بـحـزـامـ إـسـلـامـيـ سـنـديـ مـهـمـادـ، وـيـبـدـوـ أـنـهـ يـحـقـقـ زـجـاجـاـ مـهـمـاـ طـارـدـاـ فـيـ هـذـاـ الـمـضـمـارـ، وـهـذـاـ ماـ يـفـسـرـ الـانـفـتـاحـ الـمـُـتـسـارـعـ مـنـ قـبـلـ الـسـعـوـدـيـةـ وـالـإـمـارـاتـ نـحـوـ سـوـرـيـةـ، وـطـالـبـ الـأـوـلـىـ مـنـ الـمـعـارـضـةـ السـوـرـيـةـ الـتـيـ تـتوـاجـدـ فـيـ مـقـرـراتـ رـسـميـةـ عـلـىـ أـرـضـهـاـ رـفـعـ الـعـلـمـ السـوـرـيـ الرـسـميـ عـلـىـ هـذـهـ الـمـقـرـراتـ، وـإـلاـ الرـحـيلـ فـوـرـاـ. السـيـدـ عـمـرـانـ خـانـ، زـعـيمـ بـاـكـسـتـانـ طـمـوحـ، وـيـتـمـدـدـعـ بـدـرـجـةـ عـالـيـةـ مـنـ الـذـكـاءـ، وـهـوـ الـذـكـاءـ الـمـدعـومـ بـدـرـجـةـ جـامـعـيـةـ عـالـيـةـ مـنـ جـامـعـةـ أـكـسـفـورـدـ، وـنـقـلـهـ مـنـ لـاعـبـ كـرـيـكـيـتـ إـلـىـ أـعـلـىـ منـصبـ سـيـاسـيـ فـيـ بـلـادـهـ، وـلـذـلـكـ يـنـتـلـقـ مـنـ مـصـالـحـ بـلـادـهـ وـطـمـوـحـاتـهـ فـيـ اـحـتـلـالـ مـكـانتـهـ كـدـوـلـةـ عـظـمـىـ زـوـيـةـ وـحـيـدةـ فـيـ الـعـالـمـ إـسـلـامـيـ، وـهـذـاـ ماـ يـفـسـرـ مـشـارـكـتـهـ فـيـ قـمـةـ دـافـوسـ الـصـحـراءـ لـلـاسـتـثـمارـ فـيـ الـسـعـوـدـيـةـ قـبـلـ شـهـرـ مـسـتـغـرـلاـ حاجـةـ السـعـوـدـيـةـ إـلـىـ وـجـودـ شـخـصـيـاتـ عـالـيـةـ فـيـهـ بـعـدـ مـقـاطـعـةـ الـغـرـبـ بـسـبـبـ اـعـتـرـافـهـاـ بـإـرـسـالـ "ـفـرـيقـ الـمـوتـ"ـ لـاغـتـيـالـ خـاشـقـجيـ، وـعـودـتـهـ إـلـىـ بـلـادـهـ بـسـتـةـ مـلـيـارـاتـ دـولـارـ كـمـسـاعـدـاتـ مـالـيـةـ، وـدـونـ أـنـ "ـيـقـدـمـ أـيـ تـنـازـلـ سـيـاسـيـ"ـ، مـهـمـاـ إـلـىـ ذـلـكـ أـنـ "ـعـلاقـتـهـ مـعـ أـمـريـكاـ تـعـيـشـ حـالـةـ مـنـ التـدـهـورـ بـعـدـ أـنـ"ـ أـوـقـفـتـ الـأـخـيـرـةـ جـمـيعـ مـسـاعـدـاتـهـاـ تـقـرـيـبـاـ، وـبـاتـ يـدـحـثـ عـانـ الـبـدـيـلـ.

هـنـاكـ سـؤـالـ مـنـ شـقـقـيـنـ يـطـرحـ نـفـسـهـ فـيـ ظـلـ مـُـتـابـعـةـ هـذـهـ الـخـطـوـاتـ وـالـتـحـالـفـاتـ الـتـيـ يـقـيمـهـاـ الرـئـيـسـ أـرـدوـغـانـ، وـمـاـ يـمـكـنـ أـنـ"ـ يـتـرـتـبـ عـلـيـهاـ مـنـ تـبـعـاتـ وـرـودـ فـيـ عـلـىـ مـُـتـوقـعـةـ:ـ الـأـوـلـ:ـ إـلـىـ مـتـىـ سـيـسـتـمـ أـرـدوـغـانـ فـيـ الـلـافـ وـالـدـورـانـ حـولـ دـمـشـقـ، وـتـجـاـزوـرـهاـ فـيـ كـلـ هـذـهـ الـتـحـارـكـاتـ، وـهـوـ الـذـيـ يـقـيمـ عـلـاـقـاتـ اـسـتـراـتيـجـيـةـ مـعـ حـلـفـائـهـاـ الـإـرـانـيـينـ وـالـرـوـسـ، وـالـآنـ

العراقيين.

الثاني: هل ستطرد مئات السلطات السورية لهذا التقارب السعودي الإمارati والوسيك، وتوقف في خندق خصمها السامي بقرين في مواجهة تركيا العدو لها اللادود وحليفه القطري؟ تطوع رات شمال سوريا، وبالتالي حديد من منطقة إدلب وريفها، وما يجري فيها من معارك بين هيئة تحرير الشام (النور)، وحركة نور الدين زنكي، وموقف تركيا منها، إلى جانب تطوع رات شرق الفرات، ربما تعطى بعض الإجابات في هذا المضمار، فمن الواضح أن هناك خططاً لحرر تركيا إلى صدام عسكري مع وحدات الجيش العربي السوري المتأهةً في المنطقة، وهذا ما لا زلت منه ونأمل تجاوزه.

لا يستبعد أن يكون الرئيس أردوغان يحتفظ بورقة الارتفاع على دمشق حتى اللحظة الأخيرة، خاصة أنه يدرك جيداً أن إيران، وبعد الانسحاب الأمريكي، بات يمتلك اليد العليا، ليس في سوريا فقط، وإنما في المنطقة الشرق الأوسطية برمّتها.

لا يعتقد أن السوريين سيطرهم مئون للغزل السعودي الجديد بعد معاشرتهم طوال السنون الثمانية الماضية من تدخلات أصحابه العسكري في شؤونهم الداخلية، ولا يستبعد أن يدرك الرئيس أردوغان أن الجبهة السورية يمكن أن تكون أحد أهم مراكز التهديد لأمن بلاده واستقرارها إذا لم يتذرّك سريعاً نحو دمشق ملّاها بأموال حليفه القطري، ودورها في إعادة الإعمار، وعلمتنا تجارب الأعوام الماضية أن كُل الاحتمالات واردة في منطقة الشرق الأوسط الأكثر تغافلاً في خرائط تحالفاتها في العالم بأسره.

الداء السوري يقف حالياً في برج الارتفاع مراقباً ومتابعاً، ويفرّك يديه فراراً في طبل هرولة الكثرين نحو طالبي ده، مبقياً جميع أوراقه قربة إلى صدره، وسيختار في نهاية المطاف ما يخدم مصالحه وإعادة إعمار بلاده، ولكن هذا لا يعني الدسان.

إنها مرحلة كاظم الغيظ لا أكثر ولا أقل.. وإنْ أعلم.